

دور المثقف في المجتمع المعاصر

بقلم هان بول سارتر

هناك في الحقيقة مشكلتان (١٤) .

فأنا ولدت في مجتمع برجوازي دور المثقفين فيه قد تحدد بحكم طبيعة هذا المجتمع نفسه .
ومن ناحية أخرى فأنا هنا أتحدث اليوم الى مجتمع ثوري تطرح امامه مشكلات أخرى بالنسبة للمثقفين .

انني لا أريد أن أتحدث اليكم عن هذا المجتمع الثاني لانني انتمي الى المجتمع الاول ، ولهذا فسأتحدث اليكم عن كفاح المثقفين والمجتمعات البرجوازية ، ماهيته وما يجب أن يكون عليه هذا الكفاح لدينا ، أي في الغرب وفي بعض الاحيان في الشرق أيضا .

المثقفون في موقف حرج ليس فقط تجاه الطبقة الحاكمة بل ايضا وفي نفس الوقت تجاه الطبقة العاملة مع الاسف . انهم لا يحترمون رجل العلم الا حينما يقوم بدور المعلم ، والذي يقدم المعرفة فقط ، اما اذا قام بدوره كمثقف شرعوا يشكون فيه .

ان النقد الذي يوجه دائما للمثقف هو انه انسان يعارض وينتقد دائما ويتدخل في أمور خارج ميدانه وتخصصه مستغلا شهرته وتأثير أعماله الثقافية والعلمية .

فبالنسبة لرجل اميركي في الولايات المتحدة لا يعد العالم الذي يعمل في الابحاث النووية من المثقفين ، وانما هو عالم فقط ، ولكن اذا حدث واشترك مع بعض العلماء في التوقيع على بيان يدين نتائج أعماله التي تستخدم ضد الشعوب ، تحول الى مثقف .

ومن هنا ترون أن هذا العالم عندما كان يعمل في الولايات المتحدة كان يقوم بأعمال سياسية على الرغم منه ، حينما كان يخدم أهداف الاستعمار ، حيث كان معتبرا انه منتظم في داخل تخصصه العلمي فحسب ، ولكن بمجرد ان يشعر هذا العالم بخطر نتيجة أعماله يصبح من المثقفين ، أو كما كانوا يقولون اثناء حرب الجزائر عندنا في فرنسا مثقف قدر . لماذا ؟

لنحاول أن نوضح الامر ونضرب مثلا هنا محكمة راسل الخاصة بجرائم الحرب في فيننام . ان هذه المحكمة تجتمع لتحاكم الاعمال التي اترفها الاميركيون في فيننام . لتدرس ما اذا كانت الاعمال التي ارتكبتها الجيش الاميركي هناك جرائم حرب أم لا . وهذه المحكمة تتكون من رجال هم علماء في الفيزياء والرياضة ، وفلاسفة مثل راسل وقانونيين ورجال تاريخ ، مثل يجيبه ، ورؤساء دول سابقين مثل جاردنار وهم رجال اسميهم رجال معرفة عملية وعلمية . ويقال لهم عندما يريدون الحكم على أعمال الجيش الاميركي : لماذا تدسون انوفكم فيما لا يعنيكم ؟ فهذا بعيد عن اختصاصكم .

والواقع ان الذي يجمع هؤلاء الناس في هذه المحكمة ليس فقط وظائفهم . انهم في الوقت الذي يريدون فيه ان يرفعوا علم المثل العليا فهم يشكلون مجموعة من المثقفين لا من العلماء . ويبدو أن هذا ما يعاب علينا نحن المثقفين رجال هذه المحكمة . ان الذين يعملون في مجال

(١٤) نص المحاضرة التي القاها جان بول سارتر في القاهرة بدعوة

من جريدة « الاهرام » نقلا عن تسجيل للترجمة الفورية بينما كان سارتر يلقيها .

متخصص لا يحاكمون الاميركيين ولا توجد محكمة رسمية أي محكمة دولية تستطيع أن تحكم في قضية فيننام نفسها . فاذا كانت هناك محكمة مكونة من أناس لا يستطيعون أن يصدروا حكما في هذا الشأن فأننا في هذه الحالة كسائر المثقفين بل وكرجل شارع نستطيع أن نبدي أحكامنا .
لماذا ؟

ان مجرد تكوين هذه المحكمة جعل بعض الناس يشيرون اليها كمثقفين باننا رجال يتدخلون فيما لا يعنيهم كما قلت لكم .
والواقع هناك مجالات لاستخدام هذه المعلومات التي بخصص فيها كل من هؤلاء العلماء لخدمة هذه المحكمة ، فهناك من يذهبون الى فيننام ويقومون بالتحقيق والاستقصاء بكل اثار هذه الحرب .

فهناك مسيو «يجيبه» العالم الطبيعي قد ذهب الى هناك لدراسة اثار قنبلة «الاناس» ، وهي نوع من القنابل الحارقة التي تصيب في الواقع المدنيين لا العسكريين ، واستطاع أن يتحقق من وجودها ومن استعمالها ، وهذه القنبلة من القوة بحيث انها تستطيع أن تنفجر في نواح مختلفة متشعبة وتصيب كل ما حولها .

وهذه القنابل لا يمكن ان تصوب الا الى الذين يعملون في الحقول . ان هذه القنبلة التي يمكن ان تقول عنها انها قنبلة جماعية تحمل الموت الى الفلاحين والى كل الذين يعملون في الاراضي البعيدة عن المعركة . في هذه الحالة ترون انه من أحسن الوسائل أن يقوم المتخصصون في الفيزياء كصديقي «يجيبه» في ان يبحث الآثار المترتبة على استعمال هذه القنابل لانها من بخصصه وتدخل في اختصاصه العلمي ، فهو وحده الذي يستطيع أن يتحقق من قوة مفعول هذه القنابل وقد استحضر بعضا منها وقام بدراستها وفحصها .

وان الذين يهاجمون محكمة راسل انما يدعون علينا باننا نفتقر حقا لصفة الهيئة الدولية ، فمسيو يجيبه قد تعلم الفيزياء ليمارس الفيزياء ولكنه يستطيع ان يستخدم عمله أيضا في وضعه الصحيح كرجل عالم بان يتحقق من واقعة مريبة قائمة ، وهذا لا يعاب عليه ، فان المثقف ، كما ترون ، اذا استخدم علومه ابتداء من الاسس التي انشئت عليها هذه المحكمة ، أقول ان هذا المثقف يستطيع ان يستخدم علمه بعيدا عن مجال تخصصه ليحصل على استنتاجات قد لا تكون مترتبة على علمه .
ان الذي حدث للعالم اللذي في اميركا قد حدث قبل ذلك مرات ، وذلك في تنديده بالدور الذي يقوم به البعض في الابحاث الذرية . اي عندما قال ان البحوث الذرية لا يجب ان تستخدم في اتجاه ذري عدواني قد أصبح بين ليلة وضحاها من المثقفين ! لقد رأينا الان اننا اذا أخذنا عليه بأنه يتدخل في أشياء بعيدة عن العلوم التي قد تخصص فيها .. فهو عندما كان يعمل للسلطة الاميركية كان يقوم بالابحاث العلمية، وكان يريد ان يستخدم ابحاثه للاغراض السياسية ، اذن فانه فسي الحقيقة - منذ البداية - قد تدخل في امور بعيدة عن مجال تخصصه .

ماذا فعل ؟ لاحظ انه كان مستخدما من فئة من الاشخاص ، وان ما كان يفعله انما كان يستخدم لاغراض لم يكن يبدو لديه انها من الاهداف التي كان يجب ان يسعى اليها .

اذن فقد أصبح مثقفا منذ الوقت الذي لاحظ فيه ان عمله يسلب منه وانه يعمل فيما لا يتخصص فيه . أي انه عندما اتخذ موقفا سياسيا

واعيا بعد ان كان يعمل لاغراض سياسية ، ولم يكن واعيا لما يفعل . اقول
قد اصبح مثقفا مدانا يعاب عليه تدخله .

ماذا يفعل المثقف اذن في مواجهة هذا الموقف ؟

هل يبعد عن الخدمة بدافع الحياء ؟ هل يرفض الخدمة ؟
ان الذين استخدموه في اميركا حاولوا ان يقدموه للمحاكمة عندما
رفض ان يستجيب لهم . لانه فهم افراضهم . ان هذا الرجل قد اكتشف
التناقض بين الشمول العام وبين التخصص البرجوازي .

ان هذا المثال يدلنا على ماهية المثقف . ان المثقف هو عالم ولكنه
عالم عملي . لانه يوجد الان فرق حقيقي بين المعلومات النظرية والمعلومات
العملية . فمثلا الطبيب او القانوني او المهندس او أي عالم من هؤلاء
العلماء يستطيع ان يكون من نفسه داخل المجتمع البرجوازي عن طريق
الوعي بالتناقض بين هذين الجانبين . فهناك علماء يعيشون في حالات
من القلق وهناك علماء يخفون هذا التناقض عن الاخرين .

يخفون عن الاخرين هذا التناقض في نفسياتهم - هؤلاء لا نسميهم
مثقفين وليس هناك ما يسميهم مثقفين ، انما هؤلاء هم علماء فلقون .
اما المثقف فهو الذي لا يريد ان يعيش هذا التناقض والذي يلاحظ
وجوده ويرفضه . واقول ما هو الفرق بين التربية التي تلقاها في
طفولته والمهنة التي اعد لها . واعطيك مثلا من اليابان لهذا - مثالا
مباشرا من التاريخ الياباني . في اثناء الاصلاح الكبير عندما قرر اليابانيون
ان يصنعوا بلادهم تم الاصلاح على اساس ان الطبقة الحاكمة كونت
رؤوس اموال لبناء الاقتصاد ، وعلى هذا اصبح الاقطاعيون رأسماليين ،
ومع ذلك فكان لا بد من وجود مهندسين وفنيين وعلماء .

اذن كان لا بد من اصلاح في التربية ، لان التربية كانت تقليدية
كلاسيكية . كانت تعلم الشعب احترام الامبراطور وتقديسه ، عندئذ
قرر احد وزراء التربية ان الطالب في طفولته يجب ان يتلقى تربيته
على اساس تقليدي - على اساس الدين الياباني ، وهو احترام وتقديس
الامبراطور ، حتى يصل الى سن التعليم العالي - وابتداء من الجامعة ،
تصبح التربية علمية اي انها ستترك هذه المجموعة من المعتقدات التي
تلقاها الطالب حتى سن الجامعة ويدخل الطالب في مجالات علمية ،
وهنا ينشا التناقض بين هذين النوعين من التربية ، فاحدهما يعلم
- الخضوع التام لطبقة متميزة - الطاعة للامبراطور والطاعة والخضوع
لمجموع التقاليد التي تمثل تخلي الناس عن حرياتهم واستسلامهم
للتقاليد - بينما التربية العالية التي يتلقاها في الجامعة تعلمه اولا
ان الحرية (ويجب ان تفهم ان هذه الكلمة التي كتبت عنها كثيرا لها
معناها الدقيق) هي حرية الفكر ، وحرية الفكر ليست حرية التفكير في
أي شيء انما هي حرية البحث ، هي وضع موضوع ما تحت التجربة ،
اي رفض مبدأ السلطة ، هذا معناه ان الفكرة العلمية لا تقف ايدا امام
ما جاء قبلها ، بل هي تواصل سيرها وتقدم . هذه هي الحرية الفكرية
ولنفهم معناها - ان الحرية هي حرية يحتاج اليها العالم ليس ليواجه
التناقضات بها - وانما لان التناقضات هي التي تواجهه .

عندما اراد بعض العلماء في بداية هذا القرن ان يقيسوا سرعة
الضوء ، فقد فعلوا هذا مستخدمين نظرية نيوتن ، اما انشائين فقد
اضطر هو ايضا ان يأخذ بما ورثه عن السلف ولم يعارضه الا عندما
ظهرت التناقضات امامه .

ان العالم اذن يعرف انه ليست هناك حقيقة خالدة ابدية وان
لا بد احيانا ان ينكر وينفي ان العلوم الدقيقة تسمح باسم بعض الحقائق
المتصلة بان نبني الات - الات تعمل - وهذه الآلات تستطيع بسبب هذه
الدقة ان تعارض النتائج التي تستخرجها الحقائق الاولى التي سمحت
او ادت الى انشاء هذه الآلات نفسها .

هذا كله يدخل في حركة الحرية .

اذن ففي الفكرة الحية التي تسيطر على العالم يوجد هناك الاستقراء
والاستنتاج للحقائق التي لا تتغير - ولكنها قد تتغير مستقبلا - هذا

نسميه هنا الحرية ، الحرية العملية ، حرية العمل ، عمل ما يتطلبه
العمل ، وفي الوقت نفسه اذا فهم هؤلاء الطلاب شمول العلم وعاليته
العلم فذلك لان هذه العالمية تظهر بذلك ، أي ان كل انسان ودائما مهما
كان عمله على مستوى ثقافته يعتبر عالما كاملا . وكان سقراط يقول
هذه الحقيقة وهو انه عندما يريد ان يبرهن على نظرية كان يتمثل بعبد
ويأخذ من هذا العبد بعض الآراء ويستنتج منه بعض النتائج خطوة خطوة
حتى يصل الى النتائج التي يريد ان يصل اليها .

وليس هناك حد علمي . ان العلم لا ينتهي . انه تخصص فسي
البحوث ويستطيع أي انسان اخر اذا كانت لديه امكانيات التخصص ،
يستطيع ان يكتشف نفس الذي اكتشفه العالم .

ولكننا ننكر الحقيقة اذا اكدنا ان هذه هي الحقيقة وحدها وليس
هناك حقيقة اخرى غيرها وانه لا يمكن اكتشاف حقيقة اخرى . ان
الحقيقة تتضح لهؤلاء الذين اتوا القدرة على اكتشافها . ان هذه الفكرة،
فكرة سيطرة بعض الناس على الحقائق ، فكرة خاطئة وستزول . قد
يدعي الفنانون انهم من فئة عليا ، اما العالم فانه لا يستطيع ان يفهم ،
فهو يناقض عالية المنطق وعندئذ فلا يكون بحثه بحثا عاما عن الانسان
ويقتد اساس الوحدة الانسانية ، وعندئذ وكما قال ديكرت ، بدلا من ان
يكون العقل هو الشيء المشترك يصبح العقل امتيازاً وابتكاراً لفئة من
الناس . وهكذا فان العالم بدلا من ان يكون صفوة وممثلا لجميع البشر
فيجب عليه ان يبدأ فيعمل .

ليس هناك طبقة اجتماعية لا تستطيع ان تقدم لنا علماء ، فالعلم
العملي هو العلم الذي يستطيع كل انسان ان يستوعبه . ان العلم
يصبح للجميع عندما يتخذ موقفا ضد العنصرية . مثلا لا يمكن للعالم
ان يكون عالما ومتحيزا عنصريا لان العلم للجميع ، العلم شامل كوني
عالمي . ان العلم يخدم العالم كله . اذا تركنا العلم ينمو في الانسان
فهو يرفض التمييز العنصري . ولاننا نرفض كل تمييز بين البشر فالعلماء
انما يقومون بحركة علمية موحدة يرفضون فيها الاستغلال والتمييز
العنصري واي تفرقة من اي نوع تكون .

ان اتفاق كل العلماء ووحدة الفكر تجمع بين جميع الناس الذين
تلقوا العلم واصبح العلم من تخصصاتهم .. هناك تناقضات وتعارضات
على المستوى الدولي . فمثلا العلماء السوفييات والعلماء الاميركان
يجتمعون ويتبادلون وجهات النظر واجتماعاتهم مثمرة . ان الفائدة التي
تمود باكتشاف معين يجب ان تعم للجميع وتجتاز جميع الحدود وجميع
الصراعات التي تفرق بين البلاد .

هذا ما كان يتعلمه الطالب في 1890 في اليابان عند دخوله الجامعة
ولكن في الوقت نفسه الذي كان يتعلم فيه ان الناس جميعا احرار وان
النشاط العملي مهما كان يجب ان يكون حرا وانه لا شيء هناك يستطيع
ان يؤكد تأكيدا مطلقا ومجال الافكار فيه كبير في الوقت الذي كان يتلقى
فيه ذلك كان في الوقت نفسه ينطوي على ما جملة منه الربوب في بداية
مراحل التربية ، أي انهم قد لقنوه هذه الايديولوجية الخضوعية
الخاضعة للتقاليد . في الوقت الذي كان العلم يعلمه رفض التفاوت
بين البشر كان في الوقت نفسه قد اتخذ صورة وشكلا كونتها تلك العناصر
الاقطاعية ، عناصر الخضوع التي تلقاها اثناء طفولته ، والطفولة كما نعرف
عميقة وتستوجب اكثر من اي مرحلة اخرى من مراحل الحياة ، ولهذا
فمن الصعب اقتلاع ما تلقاه الطفل اثناء هذه المرحلة من ايديولوجيات
ارستقراطية ، وبعد ذلك يدخل الجامعة ليتلقى تعاليم حرة . ان هذا
التناقض بين التربيين واضح في هؤلاء الشباب وقد لاحظها الشباب
بعد تخرجهم . فلم يشعروا فقط انهم خاضعون لطبقة مميزة وان هذه
الطبقة هي المسؤولة عن هذا التناقض بين العقليتين ، عقلية المرحلة قبل
الجامعية وعقلية ما بعد الجامعة ، فهذا التناقض قائم ومن الصعب
الانتصار عليه اذا لم يقوموا بعمل منظم منهجي ، فكان عليهم ليس فقط
ان يصارحوا اولئك الذين يحاولون ان يجعلوا منهم ادوات خاضعية

لطبقة معينة ولكن يجب ان يصارعوا ضد أنفسهم لانهم يعتبرون انعكاسا لآراء هذه الطبقة المميزة .

ان هذه المرحلة الاولى لا يمكن ان نسميها بالثقافة . ففي هذه المرحلة نرى انسانا هو مشارك جريمة التمييز وفي الوقت نفسه يعرف ان هناك عالية وشمولية للعلم وانه يجمع بين التقيصين ، فعليه ان يختار بين مرحلة الطفولة وبين ما اعد له بعد ذلك في مرحلة الجامعة ، فاذا اختار الطفولة صار اقطاعيا ، واذا اختار المرحلة الأخرى كان عليه ان يقوم بعمل هدمي يهدم فيه هذه التقاليد ويرفض المزايا ويرفض الاحتكار ويرفض الاستقلال ويرفض كل هذه العناصر التقليدية ، انه عمل شاق طويل .

ولا ضرب لكم مثلا شخصا ، فقد ربيت كما يرى الجميع في مجتمعاتنا الرأسمالية في جو العنصرية ، وسن ال 15 اعتقدت اني قد انتصرت على هذه النزعة التمييزية التي ربيت عليها . كانت عملية التصفية في ذلك الوقت . ولكن كانت هناك آثار بقيت في نفسي وقد لاحظتها ، فبعد عام 1945 كانت تصلني مخطوطات من شباب من افريقيا وتعاطفت معهم وانا اعرف جيدا الصقوف التي يتعرضون لها وانصرعات التي يدخلون فيها . فعندما كانت هذه المخطوطات غير واضحة كنت ارسلها لهم ليوضحوها ، ثم شعرت بعد ذلك ان هذه الطريقة التي تعامل بها هؤلاء الناس ليست صحيحة بينما الحقيقة ان الموقف يتطلب مني ان اقول لهم مهما كلفني ذلك ، انهم يجب ان يواصلوا عملهم وان يواصلوا جهودهم ، وهي جهود تبلغ اضعاف الجهود التي نبذلها نحن ، وذلك لكي يصلوا في النهاية الى مستوانا . كان يجب ان اقدم لهم النصح مخلصا . ولكن هذه الطريقة التي اتبعتها انما تدل على ما تبقى في نفسي من انصار التمييز العنصري الذي ورتته في صباي . عندما ينمو الطفل ويتلقى التربية العنصرية فمن الصعب ان يتخلى عن هذا الا اذا خاض صراعا عنيفا بينه وبين نفسه ليصفي الماضي تصفية كاملة . وهذا امر يتوقف على النضال ، والثقافة هي التي تقوم بهذا

النضال .

ان المثقفين يحاولون ان يرفضوا كل ما تلقاه الفتى من تقاليد . وهو يحاول ان يتخلص من التناقضات التي يواجهها في مجتمعه عن طريق الصراع . ولا سبيل غير ذلك .

ان القلق يختلف من العالم الى المثقف ، فالمجتمع الياباني كما تعرفون مجتمع اقطاعي . ولكن اذا كان القلق في هذا المجتمع يختلف عن مجتمعنا فهو قلق رومانتيكي .

ففي فرنسا ماذا نتلقى ؟ نتلقى التعليم البورجوازي الذي يقول بان جميع الناس متساوون في الحقوق وانهم احرار . ففي عام 1789 عارضت الطبقة البرجوازية طبقة النبلاء سعيًا وراء الطبقة الشاملة ، الطبقة الواحدة العالية ، أي القضاء على الطبقات . ونحن نتلقى ذلك في طفولتنا ، ولكن هناك تعارض في اليابان بين التعاليم التي تلقاها الطفل في طفولته وبين الحقائق التي تكشفها شيئا فشيئا عندما نخجل في مضمار العمل ، عندئذ يشعر الواحد منا انه تلقى مع البرجوازية التقليدية ايدولوجية اخرى عن طريق تعاليم تختلف عما كان يقوله له الاباء او عما كان يستمع اليه ممن حوله ليس داخل الفصول ولكن في الكتب التي قرأها خفية ، وجميع الظروف التي كانت تحيط به هي الايدولوجية الجديدة الفعلية ، فقد تلقى علوما اخرى كثيرة غير العلوم التي تلقاها في المدرسة ، فهذا ايضا مجال لوجود التناقضات داخل نفسه .

فقد كان هناك في فرنسا طالب في كلية الطب مع طالب اخر ، وكان قد وصل الى المرحلة الجامعية ويقول له اننا سنعمل كالزئوج ، وكان الطالب الاخر لا يعتقد انه من اصحاب التمييز العنصري ولكن عندما استعمل هذه العبارة قد مثلت الزئوج بانهم هم الذين عليهم ان يقوموا بالجهد الكبير ، فهذه العبارة وحدها انما هي تصوير لما كان يجول في انفسنا وفي نفس جميع الفتيان الذين تلقوا التربية البرجوازية ،

وهكذا فنحن نحوط بنا ثقافة برجوازية هي في الواقع تقول لنا اننا بشر واحد ، كل ما هو بشري نعرفه ، ولكن هذه الثقافة تقول ان جميع البرجوازيين ناس وان الناس جميعا برجوازيون واذا لم يكونوا برجوازيين فليسوا اناسا .

وابتداء من هذه التربية الخاطئة سواء بالنسبة للغرب السنوي نسميه بالعالم الحر او بالنسبة لبلاد اخرى كاليابان الاقطاعي حيث يتلقون العلوم الاقطاعية مباشرة نجد هذا التناقض . فالانسان لا يمكن ان يكون متفقا مع نفسه ، فهو يتلقى نوعين من الايدولوجيات ، الايدولوجية المدرسية النظرية والايدولوجية العملية في الحياة . الانسان لا يمكن ان يعيش بدون تناقض .

واذا اراد الانسان بعد هذا ان يبقى امينا للجانب الانساني فلا بد ان يعطي هذا الجانب مضمونا حيا ملموسا والا كان الجانب الانساني الذي يدعيه انما هو قناع يخفي وراءه الحقيقة . فانتم ترون ان المثقف نوع من المخلوقات انقرية لان الطبقة المسيطرة قد كونت هذا المثقف لكي تستخدمه فيما بعد لصالحها .

يقول صاحب العمل لمن يعمل معه انني انا رئيسك ويجب ان تنفذ ما اطلبه منك . والواقع ان صاحب العمل يستفيد من فائض القيمة ويستفيد من جهود العاملين .

ان المثقف بعيد في تفكيره واهتماماته عن ان يعتقد بأنه اقل من غيره ، لانه يريد ان يكون دائما فوق الاخرين . ان حقيقته الوحيدة هي ان التناقض الذي عرفه ليس تناقضا داخليا وانما هو يعكس التناقض الموضوعي الذي يمزق المجتمعات .

والواقع انه يعاني هذا التناقض لان هذا التناقض يصور المجتمع في المجتمع الرأسمالي نجد ان الطبقات العاملة تقوم بعمل لكنه لا ينفع الجميع بحكم طبيعة هذا المجتمع ، في الوقت الذي يجب ان يكون فيه العمل من اجل مصلحة الجميع . في اسوان رايت فيلما

مؤلفات سيمون دو بوفوار

ق . ل

- المثقفون - رواية جزآن
- 1400 ترجمة جورج طرابيشي
- انا وسارتر والحياة
- 400 ترجمة عايدة مطرجي ادريس
- مفامرة الانسان
- 150 ترجمة جورج طرابيشي
- الوجودية وحكمة الشعوب
- 175 ترجمة جورج طرابيشي
- نحو اخلاق وجودية
- 225 ترجمة جورج طرابيشي
- 100 بريجيت باردو وآفة لوليتا
- قوة الأشياء - جزآن
- 1100 ترجمة عايدة مطرجي ادريس
- جميع الكتب وادوات المدارس ومطبوعات دار الآداب

الاحزاب لدينا . فالمثقف عندما ينخرط في طريق الطبقات العاملة يجد ان المشكلة المطروحة هي العلاقة بين المثقف وبين السياسة . ليست سياسة الطبقة المسيطرة ولكن سياسة الحزب او النقابة . ان المثقف ليس من رجال السياسة لانه يمانى التناقض الاجتماعي والان وعيه يتطلب منه الخروج من هذا التناقض .

انه مثقف فقط اذا استطاع ان يصور التناقض الاجتماعي وان يصوره للناس في كامل اشكاله . فكل محاولة لاختفاء الحقيقة لا يمكن ان تكون من نصيب المثقف . لان المثقف ولد نتيجة الصراع تجاه التربية التقليدية فلا يستطيع ان يختار العالمية والشمول ولا يستطيع ان ينظر الا الى الحقيقة في جذريتها فهو مطلوب منه ان يصبح سيد نفسه بما ان هدفه هو هدف الناس جميعا الذين يعملون ، وهدف التحرير الانساني ان يقدم كل الحلول التي تساعد على تحقيق الهدف المباشر وان يتجنب كل ما من شأنه ان يقود الى الانحراف فهمها كانت دقة الناس وامانتهم فلا بد من التصالح بين السلطة وبين الاحزاب والجماعات القيادية ، لا بد من ان يكون بين هاتين السلطتين نوع من التصالح والتفاهم لضمان وحدة العمل . لا بد من تنازلات من احد الجانبين او من الاخر وذلك تحقيقا للوحدة .

وهكذا يجب ان نقول اولاً اذا كان على المثقف ان يقوم بدوره فلا بد ان يكون مجرداً من السلطة ، واذا انخرط في حزب يكون واجبه الاول هو النظام والخضوع واذا تقاسم المسؤوليات وشارك فيها ، أي انه اذا دخل الحزب مثلاً ليلعب دوراً واضطر ان يصبح سياسياً مثلاً ، أي ان يخطب ويدعو الى ما يدعو اليه الحزب ففي هذه الحالة يضطر السى ان ينفذ ما يؤمر به ، وان يخضع لكلمة الحزب ، ولكن ينبغي على المثقف في الوقت نفسه ان يرفض اذا رأى ان هناك انحرافاً وان تكون له القدرة على المنافسة وعلى عدم قبول كل ما يفرض عليه . ان كلمة الحزب الاولى والهدف الاول يجب ان يكونا خطه الاول .

ولكن النظر الى المثقف على انه يجب ان يكون مجرداً من السلطة يتطلب منا تصحيحاً : على المثقف ان يعيش هذه العناصر كلها وان يفهمها . اذن فهناك امكانيتان اذا تحققنا فانهما يسمحان للمثقف ان يؤدي واجبه : اولاً ، ان يدخل في حزب جماهيري ثوري ويلتزم به ، في هذه الحالة يصبح هناك مثقفون داخل الحزب واخرون خارجه . لانه اذا لم يكن بالحزب مثقفون فان الحوار يدور بين ساسة ومثقفين وهو الامر الذي ينبغي تماماً امكانية وجود لفة مشتركة . وثانياً اذا كان هناك مثقفون داخل الحزب فينتقدون الحوار مع مثقفين خارج الحزب فانهم قد يخطئون الهدف في سبيل التنكيك ، وقد ينتج عن ذلك نوع من الانحراف . ولهذا فان وجود مثقفين خارج الحزب يحفظ القدرة على التغيير والتطور . اما اذا كان المثقفون داخل وخارج الحزب مجردين من السلطة تماماً تكون مخاطرة بالوقوع في الفموض والتداخل بين هاتين الفئتين . فالفتنة الاولى من المثقفين التابعة للحزب ستنتج خط حزبها ايما كان هذا الخط . وهؤلاء مثقفون لهم سلطة . اما الفتنة الثانية مسن المثقفين الثوريين غير الحزبيين فيصبحون بلا تأثير .

والمجتمع يتطلب وجود النوعين لانه بدون ذلك لا يتم الحوار الصحي المؤدي الى استمرار التطور .

ان هذه الوحدة التي تمثل الثقافة تساعدنا على ان نفهم ما يحدث . وما قلته لكم في البداية بالنسبة لما يحدث في محكمة راسل . لماذا لا ننظر الى انفسنا نقوم مترفعين على الناس الاخرين ؟ لماذا كوننا هذه المحكمة من الخارج وما علاقتنا مع المثقفين ؟

اولاً - ان المثقفين في محكمة راسل مجردون عن السلطة اذن هم من هؤلاء الذين خارج الاحزاب فلم يدعمهم احد ولم يكلفهم احد بشيء وهذه ميزة لانه اذا كانت حكومة او مجموعة من الحكومات قد كلفتهم بهذا ففي هذه اللحظة تستطيع الحكومات لمصلحتها السياسية ان تتدخل . وعندئذ قد يعارض الامر يكون اي حكم يفرض عليهم . وهذا

شاهدت فيه عمال السد العالي والفرح يملأ قلوبهم ويشع البشر في نفوسهم عند تحويل مياه النيل . وقد سألت في المساء هؤلاء العمال ولم يعرفوا انني شاهدت هذا الفيلم ، سألتهم لماذا احسستم بهذه الفرحة ؟ فقال لي احدهم ان هذه الملايين من الفدادين التي تستطرح وتزرع هي السبب . كانوا يشعرون بان عملهم يعود اثره للمجتمع كله . وان كل عامل منهم مع البلد كله سوف يستفيدون من هذا العمل . وهذا الفرح انما الداعي اليه هو الشعور بان ما يفعله الجميع سيستفيد منه الجميع . ولكن في البلاد الرأسمالية لا يمكننا ان نتصور ابداً مثل هذا السرور والفرح من جانب العمال لان اقامة خزان هي مجرد وقف تيار ماء فقط . قد يكون وسيلة من وسائل اثراء البلد - هذا في البلاد البورجوازية - ان مثل هذا البناء قد يؤدي الى نوع من البطالة والى تخفيض الاسعار ، فهذه كلها فوائد يستفيد منها الرأسمالي لانه يستطيع ان يزيد السلع التي يعرضها في الاسواق ويستطيع ان يتوسع في مشروعاته الخاصة ، فالعامل يشعر هناك بان عمله انما هو للخارج ، ولذلك ينشأ هذا المجتمع الذي بني على اساس خاطيء والذي يعتبر اثره وغناؤه قائماً على اساس خاطيء ايضا .

والمثقف يعاني هذا التناقض ، ان التربية التي يتلقاها الانسان منذ طفولته ، هذه التربية تقول له انه يجب ان يقبل الحياة كما يعيش البرجوازيون ، ولهذا يجب ان يفهم الحيل التي يستطيع بها ان يصل ليعيش كما يعيش الجميع ولكي يخلص ايضا من الناحية العنصرية .

في فرنسا ارادوا ان يدخلوا في عقول المثقفين ان الجزائر اذا فقدت منهم فسوف يكونون هم الخاسرين ، ولقد اصبح العالم مليئاً بهذه التناقضات ، والحقيقة انه في بلاد العالم الثالث التي تكافح ضد الاستعمار عندما يتصل المثقفون بهذه الصراعات التي يخوضها هؤلاء الناس في العالم الثالث او الذين يريدون ان يتحرروا من الاستغلال او الاستعمار في الوقت نفسه سواء في اوربا او في افريقيا او في أي جهة من جهات العالم ، عندئذ يحاول المثقف ان يطالب بالاستقلال داخل نطاق السلام مهما كان الصراع ، لان الفرض من كل صراع هو السلام . ان المثقف في هذه الحالة عندما يجد ان حقيقته هي في الكفاح وهو لا يكف عن ملاحظة هذا التناقض وهو يبيه وعياً تاماً ويراها رؤية واضحة . وحل هذا التناقض انما يكون في الكفاح وفي متابعة انواع الصراعات القائمة حوله . ان العامل يستغل . . ونحن شركاء في جريمة هذا الاستغلال ان لم نعمل على تخليصه منه .

ان هذا التناقض الذي يوضع فيه المثقف يجب ان يتصر عليه عن طريق الصراع والكفاح والوعي التام بكل ما يدور حوله . ولا بد ان يخرج من هذا التناقض ، وسيظل عميلاً للبورجوازية اذا لم يخرج من هذا الصراع .

عندما يضع المثقف وسائله في خدمة السلام يكون قد خدم البشرية، والفموض قد يتم بسبب اللغة وليس لان المثقف اعلى من العمال في ثقافته . عندما تجد هذه الطبقة - طبقة المثقفين - نفسها داخل الایدولوجية التي جعلتهم على مستوى الوضوح الكافي في هذا التناقض الموجود في داخل انفسهم عندئذ يستطيع المثقف ان يخدم العامل وان يساعده على التخلص بنفسه من بقايا الایدولوجية التي تحول دون مواصلة الصراع وذلك بتوضيح وبلورة هذه التناقضات على مستوى العقل والنطق وبايصال العامل الى هذا المستوى من الوعي .

وهكذا - فان الاتصال بين المعرفة العملية وبين الثقافة النظرية انما تكشف ان العلم يمكن ان يكون شاملاً وكذلك العمل ايضا يمكن ان يكون شاملاً . فالعمال في اسوان يطالبون بمالية انتاجهم وهكذا نرى كيف ان المثقف يستطيع ان يضيء السبيل امام العامل عندما يلتزم في كفاحه الطريق الذي يستطيع ان يعبر عما يريد بأسلوب يمكن للعامل ان يستوعبه ويفهمه . ان الطبقات العاملة عندما قد استخدمت اجهزتها في الكفاح الحقيقي . ان هذه الاجهزة تمارس الصراع الطبقي بحيث تصل الى تحرير العمل - وهذه الاجهزة هي الاجهزة النقابية او اجهزة

معناه ان انشاء مثل هذه المحكمة يجب ان يتفق عليه ساير الدول .
في نورمبرج حكم على النازيين لان الحلفاء قد هزموا النازي ، وقد
نفذت فعلا الاحكام ، وحكم بالاعدام على كثيرين ذلك لان الحكم هو حكم
المتصرين على المهزومين .

انها ليست عملية بحث عن الحقيقة وكشفها ولكنها عملية تصفية
فقط . . تصفية المهزومين عن طريق المتصرين . ولكني لا اقول ان الذين
حكم عليهم بالاعدام لم يكونوا مجرمين بييد ان قضائهم كانت تسندهم
جيوش . وكانت حكوماتهم المنتصرة تسندهم .

لهذا فان الحكم الذي نريد ان نصدره نحن لا نريد ان يكون مدعما
بقوة خارجية - قوة مسلحة - انما هو حكم تابع من اعماق ضمائرنا . لا
نريد ان تكون قضاة رسميين معينين بصفة رسمية . اننا لا نصلنا اموال
من فينتام ولا من امريكا . وفي هذه الحالة فان ضعفنا هو في عدم وجود
اي سلطة في ايدينا ولكنه في نفس الوقت هو مصدر فاعلية هذه
المحكمة لان المثقف الرجل الذي اراد ان يقف موقف الرجل العادي لا
موقف الشخص المتميز - لهذا فان محكمتنا لها قيمتها - اننا لسنا فسي
هذه المحكمة الا قوما نريد ان نجد حلا للجميع .

ولهذا فانه يجب ان تكون الجلسات عامة ، في هذه المحكمة . ولان
هناك حقائق نقدمها بملنا لجميع البشر سواء عن طريق الراديو او عن
طريق الصحافة او باي وسيلة من وسائل الاعلام . ان نشر جميع الوثائق
ونشر التقارير والاستقصاءات والبحوث التي تقوم بها كل هذا انما الغرض
منه هو انه اثناء انعقاد الجلسات تستطيعون جميعا انتم ايها البشر - ان
تسعدوا بما يحدث هناك وان تصدروا انتم بانفسكم حكمكم اذا كانت هناك
جريمة ام لا . اننا نحاول ان نتحدى كل هذه المخالفات . ثم نحن نريد
ان نقوم بحملات للحصول على توقيعات المؤيدين والناصرين . لهذه
الحركة للصوت الذي ننادي به حتى يكون الحكم حكما عاليا - فلا تكون
وحدنا القضاة ولكن نصيح وسطكم انتم جميعا حكاما اصدقااء لجميع
الحكام . ان « لوثر » الذي يختلف دينه عن دينكم وديني ايضا قال ان
جميع الناس العاديين في الحقيقة انبياء . اننا باختصار نحاول ان نسمع
صوتنا بان من حق جميع الناس ان يكونوا قضاة ومن حقهم ان يحاكموا
هذه الاعمال الاجرامية . ان عملنا لا معنى له الا اذا واصلته وتجاوبت
معه الجماهير . اننا لا نريد ان نحدد عملنا في دائرتنا الضيقة ولكن يجب
ان ينتشر هذا العمل وان تقوم الجماهير بمواصلته . ومع هذا فان هناك
نقطة ثابتة جديرة بالذكر لا يعتقد ان مهمة المحكمة سهلة ولا يعتقد ايضا
اننا نشير صعبا حتى امام اصدقائنا اننا فسي الوقت الحالي مثقفون
مجردون من السلطة واننا قد اتخذنا هذه الخطوة بدافع من انفسنا .

والواقع اذا افترضنا ان عددا من الناس يجتمعون في قاعة ويقولون
ان الامريكيين مجرمون ، اذا كان هؤلاء الناس يجدون تأييدا من الجميع ،
هذا قد ينشئ صعوبة سياسية لانه - كما تعلمون - يمكن التعاض
السلمي مع اناس قد يصيبون اعداء القد ، ولكنهم فسي الوقت الحاضر
لا يعادون بيد انه لا يمكن التعاض مع مجرمي حرب .

فاذا كان حقيقة ان الجماهير تتبنى حكما صدر ضد هؤلاء المجرمين،
فهذه الجماهير انما تواصل بهذا الاسلوب سياسة التعاض . ان الراديكالية
هي ان نقول انه لا يكفي ان نقاتل الاستعمار ولكن يجب ان نعرف اذا
كانت حرب فينتام جريمة ام لا . هذا ما نريد للجماهير ان تعرفه وهذا
ما نريد ان نظهره هل هذه الحرب جريمة ام ليست جريمة ؟ هل هي
نوع من الحروب المييدة للجنس ام لا ؟ فاذا اردتم ان تتبنوا هذا الحكم
استطتم ان تحققوا فعلا وحقا ما نسميه التعاض .

والان دعوني اقدم القضية من زاوية اخرى فانسائل : هل ينبغي لنا
العدول عن هذه المحكمة ؟ كلا . لانه من ناحية قد خطينا تأييد العالم كله
وتلقينا تشجيعات من جميع انحاء العالم . فنحن لم نسر في طريق قد
يؤدي بنا الى رفض الوجود ولكننا على المستوى الذي نستطيع ان نقول

فيه للناس الذين يكافحون ، اننا نبحت عن الوضع هل هو جريمة ام لا ؟
ان الصعوبة التي تواجه المثقف هنا هي في ان يكون راديكاليا ولا
وان يتخذ موقفا في المشكلات السياسية .
وكما قلت لكم اننا قد وجدنا تأييدا ضخما من المثقفين ، ونستطيع
ان نقول - نحن الذين نقف بدون سلطة - نستطيع ان نقول ان هذه
الرابطة بيننا وبين الفينتامين في المحكمة تسمح بان نسير في هذا
الطريق رغم ما ينتج عنه من اجراءات قد نتخذها .

والواقع اني اريد ان اقول فقط انه من الممكن ان نطرح سؤالا يعتبر
مطلقا : هل هناك جريمة ام لا توجد جريمة في فينتام ؟
رغم كل الصعوبات التي ذكرتها فان الموقف محدد . اذا اصبح
التعاض السلمي صعبا بسبب هذا ، فانه يدل على ان هذا التعاض
السلمي قد ينفع الامريكان في بعض الاحيان اكثر مما ينفع السوفييات .
ان جريمة الحرب اذا سمحت بجعل التعاض السلمي غير ممكن فلسنا
نحن الذين سنعمل هذا . ان المطلوب منا هو المبادرة من بعض الاشخاص
لانهم مثقفون ، لانهم يعرفون ما هي التناقضات التي تصطرع في العالم
ثم هناك ايضا انتم ايها الشعوب ، وهناك الرابطة بيننا وبين الفينتامين
الذين يعتبرون ان الامر ضروري وهم يريدون شيئا واحدا وهو الاجابة على
هذا السؤال وحده . ان هذه العناصر كلها تؤكد اننا لا نسير نحو
راديكالية سخيفة .

ما هي انواع النشاطات التي يستطيع ان يمارسها المثقفون رغم
تجردهم من السلطة . لقد اردت ان اقول لكم من قبل انهم ليسوا روادا
فقط ولكنهم قوم يستطيعون ان يحققوا السلام بانفسهم . وهذا السلام
لا يجدونه الا اذا سارعوا مشتركين مع الجميع في سبيل الاشتراكية
والسلام في العالم . ليس لانهم مطالبون فقط بالقول ولكن يجب ان
يفعلوا الى جانب الطبقات العاملة حتى يتم السلام . فسي ذلك يكمن
الجواب .

صدر حديثا

مَكَارِمًا لِأَحْرَن

مجموعة قصص
بقلم
اديب نحوي

الكتاب القصصي الثالث ، بعد « حتى يبقى المشب
اخضر » و « جومبي » ، لقصاص اصيل هو نسيج
وحده في كتاب القصة العربية المعاصرة ، بفنه الحي
ونزعه الانسانية وروحه الالتزامية الصادقة

٢٥٠ ق.ل

منشورات دار الآداب